

ونحن نرفع أعلام الشكر والثناء في منارنا لآل أباطه السراة الكرام
ونرجو أن يكونوا خير قدوة لآبناء الامراء والاغنياء في الديار الذين
أصبحوا على أمنهم طاراء، وحملوا أنفسهم وأهليهم اوزارا، وكانوا لا وطنهم
خرايا ودمارا، اصلح الله شؤوننا وشؤونهم بمنه وكرمه

أنسنا بقاء حضرة الفاضل محمد افندي مصطفى الدوملي الاسكندري
وكيل جريدة (معلومات) وقد أهدى الينا أبيات مطرزة باسم (النار)
يقرظه بها فنشرها شاكرين له وممتين من لطفه وهي

أ ن م	ب ن أنشا وصباغ (منارا)	ي س د ع	د ر ق د زها وأنارا
ل	لاحت معارفه بنور فضائل	و بلا غة	ت د ع الفهوم حيارى
م	مالت عقول أولي المقول له كما	ع نه	أ خوالج ل اثني وتواري
ن	نم المؤسس للنار وحبذا	ط ر ق	ل خير الناس فيها سارا
ا	الله يمنعه (رضا) ويزيده	(ر ش د ا)	و ن ج ه ا دائما ووقارا
ر	رام الهداية للنام فن نما	ن ه ج ا ه د ع	ف ل ي ت خ ذ ه منارا

(*) التعصب

قد علمت ان التعصب هو عبارة عن القيام بالمصيبة، وان مناط
المصيبة في اصطلاح هذا العصر هو الجنس أو الدين، وان الافرنج ومن
احتذى مثاهم من أبناء المشرق حذوا القذة للقذة يفرقون في مدح
التعصب للجنس على اطلاقه، ويمدون المشكلة للدول، والمقوم للامم

ويفتخرون بالتفالي به والاستبسال في سبيله ويرون أن الشرف الأعلى
والكمال الأرفع في بذل النفس والنفيس في تقوية الجنسية ونصب
الأشرار والأحاييل لا يقاع سائر الشعوب فيها

ويخصون التعصب للدين بالأزراء والأزدراء والثاب والسب والطعن
والقدح، ويمدون منبج الشرور ومولد الفتن وعدو المدنية ومنازل الحروب
ومقطع الصلات بين الأمم، ويتذرون الانصاف به، ويتصلون من
الانتساب إليه، بل استعملوا لفظه للسباب والشتيمة، ويزعمون أن صاحبه
خابط في ظلمات الجهالة، والتعصب غشاوة على عينه، أو حجاب كثيف
يحول بينه وبين نور المعرفة، بل هو أكمه لا قابلية فيه لأدراك نور
المدنية الصحيحة !!!

قلت شمري هل يرى هؤلاء أن الدين المطلق هو منبج الشرور
ومصدر الرذائل والعقبة الكؤود في طريق المعارف، وأن اللغة من حيث
هي لغة مجمع أزمة الفضائل ومنبج أشعة العلوم والعرفان، كيف وجلهم
أو كلهم ينتسب للدين تشرفاً به ولورى بقلب الكفر تقوم قيامته ويتبرأ
من هذا القلب الشائن الذي رماه به الشائى، بل أن عقلاء الكفار من
هؤلاء المتمدنين يمتدحون بفضل الدين وأن كانوا لا يدينون به، ويشهدون
أنه المذهب للنفوس الرادع لها عن الشرور، وأنه يزع ما لا يزع السلطان
أنه مهيم على النفوس لا يفارقها في حنادس الليالي، ولا يزاها وراء
الحجب والاستار، حيث تنام أعين القضاة ولا تصل أيدي الشرطة والأعوان
لا ترجع الانفس عن غيبها مالم يكن منها لها زاجر

فلم يبق من شبهة لمن يخص التعصب الديني بالملت والدم، والجنسي

بالشرف والاطراء ، الا الغرض وأنا أقص عليك غرض الاوربيين منه .
فاستمع لما يتلى

أنت تعلم ان المنفعة مدار كل عمل عند هؤلاء القوم . فاما انتفاعهم
من التمصّب للجنس وتربية الامة على حب جنسهم . فاما انتفاعهم
ومذاهبهم فهو انهم تمكنوا به من توحيد أممهم ، وامنوا من عواصف
الثورات التي كانت تهب في بلادهم كالريح العقيم ، ما تذر من شيء . أنت
عليه لا جملته كالريم ، وهو الذي نقاسي اليوم غناءه ، ونساور بلاءه ، في
أرمينيا وكريت وغيرهما من البلاد العثمانية ، التي فقد منها هذا التوحيد
لاهمال التربية على التحاب والنواد والاعتصاب بالجنسية العثمانية الجامعة .
وأما انتفاعهم من التمصّب الديني فهو انهم شكوا الجمعيات الدينية
وجعلوها من آلات الفتوح وأرسلوها الى آسيا وأفريقيا أوزاعاً أوزاعاً
(جماعات متفرقة) تحت حماية دولهم فعملت مالا يعمل السيف بل
كانت تسير على أثرها الجراي المنشآت في البحر كالأعلام ، تحمل المدافع
القوهاء التي تدمر كل قطر ينظر فيه لاحد المرسلين شرراً ، أو تستمره استثماراً
انظر تاريخ أوروبا مع المشرق كله وبين يديك الان شاهد قريب
وهو اندفاع دول أوروبا الكبار على الصين ومبدأه احتلال ألمانيا
لكياوتشاو بسبب قتل بعض المرسلين ولم يكتفوا بهذه المنافع والمغانم
بل هم ينفخون هذا الروح « التمصّب » في نصارى الشرق بواسطة
جمعياتهم السرية والجهرية ويربونهم عليه في المدارس السياسية الدينية التي
ينشؤونها في بلادهم . يمثلون لهم لدى تعليم التاريخ صورة ماضيهم مع
بني وطنهم بصفة مشوهة تنفر منها النفوس وتقشع الجلود ، ليقعوا بينهم

العداوة والبغضاء، ثم يعدونهم بالحماية والنصر ويمنّونهم بالاستقلال إذا هم شقوا عصا الطاعة وخطروا رداء السلطة

ذلك وعد غير مكذوب، يجتهدون في الوفاء به ما وجدوا للوفاء سبيلاً، واعتبر ذلك في الفتن الأخيرة في بلاد الدولة العلية من عهد مقدمات الحرب الروسية إلى عهد المسألة الأرمنية والمسألة الكريدية قلقة واضحاً جلياً

ومما يقضي على العاقل بالعجب أن هذه الدول لا تتحاشى المجاهرة بالاتصار للنصارى بعنوان حماية الديانة النصرانية

ولو أن دولة أو إمارة إسلامية سألت عن حال المسلمين في مستعمرات تلك الدول من حيث زراعتهم أو تجارتهم فضلاً عن الاتصار لهم لقامت عليها قيامة أوروبا وأجمع دولها على وجوب تأديبها لاتها حركت سواكن التعصب الديني الذي يقوض أساس العمران بل لو انفجرت براكين المدوان في بلادهم فأحرقت جميع أرباب المذاهب لا تتحرك لهم عاطفة رحمة، ولا تنجيش في صدورهم حمية، سواء كان المحترقون بتلك النيران نصارى أم غير نصارى، اللهم إلا أن كانوا من جنسهم فالفرنساوي لا يمن في أوروبا إلا للفرنساوي والانكليزي لا ينظر إلا للانكليزي وهلم جرا فالتعصب الديني عندهم محرم في الغرب، واجب في الشرق، اللهم أنه واجب كونه مذموماً لفظه لا فعله وعلى اجتناء المنافع المدار وهو المبدأ وإلى المآل

وأما ما يثرثر به هذا النشء الجديد في الشرق من لفظ التعصب والتعصب في معرض الذم فهو لفظ عن غير عقل ولا بصيرة بل لبس

الا صدي ما يقوله أولئك المختلبون،^(١) يرجعه هؤلاء المختلبون، أو هو حكاية أصواتهم من غير ملاحظة ما ترمي اليه. الاتراهم يرددون كثيراً لفظ { فثاتيك فثاتيك } أي تعصب ديني يقول ما قالاه كما تقول اليسفا

الامن انفصل من جنسوته الشرقية واتصل بهؤلاء الافرنج كما انفصل النيازك من كوكب فيجذبها اليه كوكب آخر تتصل به وتكون جزءاً داخلياً في بنيتها.

ومن تجرد من جلايب الحظوظ والافراض، وترفع عن التحزب للاديان والاجناس، ونظر في الشؤون بعين الانصاف، جاعلا مظهره الحقيقة، تجلي له انه لافرق بين التعصب للجنس والتعصب للدين، الا بما يكون به الاول أشرف رابطة وأقدس مناطا، وان كلا منهما فضيلة اذا وقف عند حد الاعتدال، وان الفلوف في كل منهما رذيلة تدعو الى ايذاء المتعصب لخالفه فيما قامت به العصبية، وتحمله على التعدي وهضم الحقوق واختلاس المنافع. والعقل المجرد عن الشوائب يحكم بقبح ومذمة التعدي والايذاء لذاتهما، من غير نظر الى سببهما، ومن نظر في التاريخ يرى ان كلا من هذين النوعين للتعصب قد نشأ من الافراط فيه منازعات وحروب اهريق فيها الدماء، ويتمت الاطفال وأيمت النساء.

نعم ان للحروب وجهها يرجع الى قاعدة ارتكاب أخف الضررين وليس هنا مجال للبحث فيه

يرمي الافرنج والمنفرنجون المسلمين بالتعصب الديني القديم أي الافراط

فيه المؤدي الى ايذاء المخالف ، وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ،
تحميلهم عليه الاغراض السياسية وهم يعلمون انهم كاذبون ، هذا الافراط في
التعصب لم يوجد في ممالك المسلمين الا بين ارباب المذاهب الاسلامية
كالمتزلة والخوارج والشيعة من اهل السنة ، واما بين اهل الاديان المختلفة
فلم يكن له اثر الا مالا تخلو عنه طبيعة الوجود مما يكون مثله بين ابناء
المذاهب الواحد حتى اضرت ناره اوربا بالحروب الصليبية فاستضاءت
هي بنورها ، ورمي بشرورها آخرون

من يجهل التاريخ يخدع بما يلفظ به المذاعون من الافرنج والمتفرنجين ،
ويصدق جرائمهم فيما يزعم من براءة اوربا من التعصب الديني ، ويفتر
بتلفيقهم وتعميقهم الحقائق وبراياها في اثواب الزور المدبجة بالوان التمدن
العصري ، لكن اسفار التاريخ على علامتها واختلافها تشهد على اوربا بالتعصب
المشوه منذ دخلت في النصرانية الى ما بعد الحرب الصليبية ، وبالتعصب المموء
في هذه القرون الاخيرة ، غرض بصرك عن إبادة اسبانيا للمسلمين في بلاد
الاندلس وعن معاملتها هي وروسيا لليهود الذين أجبروا على النصرانية
ومن لم يقبل كان جزاؤه القتل او الاجلاء من وطنه ، ومصادرة في ماله
وعقاره ، وارم باشعة النظر الى الامتين العظيمتين زعيمتي التمدن وناسرتي
لواء الحرية والعدالة والمساواة . . . انكلترا وفرنسا ، لم تسكت الواحدة
منهما بتأليف الجمعيات لتنصير المسلمين وغيرهم ، ولا بفرض التعصب الذميم
في نفوس تلامذة المدارس التي ينشؤونها في البلاد الشرقية وعلى الاخص
بلاد الدولة العلية ، ولا بالناء الدسائس والفتن بين النصارى والمسلمين في
البلاد التي قوي نفوذهم وتداخلهم فيها ، لكثرة النصارى الآخذين عنهم

والمخالطين لهم ، ولا بالتعامل على الدولة العلية والاجتهاد في سلخ بلادها التي
يكثُر فيها المسيحيون ، واعطاء تلك البلاد الاستقلال عن الدولة أو إلحاقها
بمحكومة مسيحية - بل لا يزال روح التعصب القديم محركا لالسنهم ،
ومالكاً أزمة عامتهم وخاصتهم ، وناهيك بعظيم انكسار وفقيدها المستر
غلادستون وخطبه ضد الاسلام ، وكلمته الأولى في وجوب اعدام القرآن ،
وكلمته الآخرة في وجوب تطهير أوروبا من المسلمين ، فأخذ الله نكال
الآخرة والأولى أن في ذلك لعبرة لمن يخشى

ودونك كلمة أخرى من عظماء الانكليز عبر بها عن قاعدة من قواعد
السياسة التي يجب على أوروبا العمل بها وهي كلمة اللورد سالبري في وجوب
إعادة مأخذة الهلال من الصليب للصليب دون المكس ، كبرت كلمة هو
قائلها ، وعليه وزرها ووزر من عمل بها ، ولاتنس معاملة البريطانيين لمسلمي
ليفربول ، وزجهم بالأحجار في مصلام ، بله معاملتهم للهنود وغيرهم من
البعداء عن أرض التمدن والحرية ، بل لاتنس تعصبهم على كأوليك أرانده
وعدم مساواتهم بالبروتستان !!!

واذ كر ما نقله المقطم من عهد غير بعيد عن القرنين واستنكافهم
من السفر مع المسلمين في حوامل (عربات) السكك الحديدية في تونس
والجزائر ، ولديك الآن في فرنسا مسألة دريفوس التي أقامت الأمة
الفرنسية وأقعدتها ، فتألب حكامها ومحكوموها على اليهود جيمهم بجزيرة
أسندت إلى بعضهم كذبا وبهتاناً وتعصبا ذميا ، ومن وقف على دخائل هذه
المسألة ودقائقها يتعجب من غلواء القرنين وطيشهم وتعصبهم الاعمي
(المآر) (٦٢) (المجلد الأول)

ويحكم بأن التهذيب لا يمكن أن يلبس النفوس إلا بالدين السماوي من غير غلو فيه ولا تقريط ولا افراط وهو ما فقدته الاوربيون في الجملة والفرنسيون في الجملة والتفصيل

قال قائل ان ظل الديانة قد تقلص عن فرنسا وعن عامة أوربا وان الحكومة الفرنسية صرحت رسميا بأنه لا دين لها فكيف تغلو في التعمص للدين وهي ليست على دين؟ ونحن نقول صدق القائل فيما حكاه عن فرنسا وسائر أوربا ويؤيد قوله هذا ما نقل عن كثير من العارفين بأحوال أوربا كالخطيب لوازون الفرنسي في خطبته في الاوبرا الخديوية بمصر وغيره، وجاء في مجلة المقتطف النراء عن الدكتور بمقوب افندي صروف أحد منشئيه أنه دخل احدى كنائس باريس متفرجا فرأى فيها جماعة ولم يكن يوم أحد، فقال ما أراكم الامتدنيين يا أهل باريس، فقال له الدليل وهو فرنسوي لا تفرنك الظواهر لكن التعمص على المخالف في الدين لا يستلزم تمسك التعمص بالدين حقيقة، وإنما يكفي فيه الائتماء له ولو اسما، فكيف اذا انضم الى ذلك جملة عاملا من عوامل السياسة، وأداة من أقطم أدواتها، وتأيد بالوراثة الطبيعية عن الآباء والاجداد، والفرائز والسجيا المورثة لا تنزع وتمحى آثارها بمجرد اعداء بطلان منشئها وقبح مصادرها ومواردها قال القائل ان تحامل الدول الاوربية على الدولة ناجم عن محض المطامع السياسية أو خدمة الانسانية بازالة الظلم واصلاح البلاد، وليس للتحمس الديني فيه يد، ولولا ان جميع حركات أوربا وسكناتها صادرة عن منازع السياسة دون منازع الديانة لما حارب بمضن بمضا، ولما وازرن الدولة العلية في حرب القرم بل وفي الحرب اليونانية الاخيرة، والجواب عن

هذا في غاية الظهور: أما كون المطامع السياسية هي المألوفة لارادة دول أوروبا والمصرفة لها فهو مما لا ريب فيه، إلا أن هذه المطامع لما أوجبت معاملة الدولة المليية معاملة لا تنطبق على معاملة بعضهم لبعض وكان من المشاهد أنهن يكن لها في السلم والحرب بغير المكيال الذي يكن فيه لافسهن في السلم والحرب حتى أنهن يسلبن من بلادها في الحالتين على السواء - عامنا أن المطامع السياسية الأوروبية مشوبة بالتعصب الديني الذميم تلقاء الدولة المليية بل أقول أن للزغات الدينية أثراً عظيماً في السياسة الأوروبية العامة، تشهد لذلك علاقات الشعوب البلقانية مع روسيا، وعلاقة أيرلندا مع فرنسا، ومن أقوى شواهد ما كان للحرب الأميركية الإسبانية من الأثر المختلف عند أممي الحرية انكلترا وفرنسا، فقد كان ظلم الأولى مع الأولى والثانية مع الثانية ولا ينكر أن لاتفاق المذهب واختلافه يبدأ في ذلك، وإن كبار المكابرون وموه الموهون . ثم إن الجنسية والوطنية في تنازع دائم مع الدين عند الأمم الغربية، حتى أن الكاثوليك الأميركي قد يحارب أخاه لاسباني، إلا أنهم لم يصلوا في ذلك إلى محو سلطة الدين والمذهب على النفوس بسلطة الوطنية والجنسية .

وأما دعوى خدمة الإنسانية والسعي في إزالة الظلم وإصلاح البلاد فهي خداع وتغريب للعقول، أليس في بلاد بعضهم وفي مستعمرات جميعهم من الظلم مما يجب إزالته أولاً؟ لم لم تعرض الدول الأوروبية لاغاة أهالي كوبا كما تعرضن لاغاة أهالي كريت مع أن ظلم أسبانيا لكوبا مما لا ريب فيه وهو الذي حملها على المصيان بخلاف كريت فإن عصيانها كان بدسائس أوروبا التي صادفت من أهل كريت نفوساً خبيثة مجبولة على الفتن والشغب

كما وصفهم مقدسهم بولس في أحد رسائله وأما انتصار بعضهم
للدولة العلية في حرب القرم ومحاربة بعضهم بعضاً فلا يهض حجة على
نفي التعصب ولا اثباته بل بعض ذلك من مطامع السياسة المحضة وبعضه
من المطامع المشوبة بالنزغات الدينية يعرف ذلك المؤرخون المدققون
أما المسلمون فقد كانوا في شبيبة دينهم وعنفوان قوتهم يحترمون
مخالفهم في الدين ويساؤون بينهم وبين أنفسهم في الحقوق « لهم مالنا
وعليهم ما علينا » وهذا في حق الذمي والاجنبي المعاهد دون الحربي وقد ذكرنا
في العدد الثاني والعشرين محاكمة الامام علي - وما أدراك من هو سمع به ودي
عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومما تبة علي لعمر بعد المحاكمة على
عدم المساواة بينه وبين خصمه حيث كناه وسمى خصمه (وسندكر
ما فرضت الشريعة الاسلامية من الحقوق للذمي والاجنبي المعاهد في
فرصة أخرى) فهل وصل الاوريون في نهاية مدنيهم الى شيء مما كان
عليه المسلمون في بدايتهم وبداوتهم من المساواة ؟
كلا انهم لا يحتلون بلاداً ولا يظأون أرضاً الا ويحتلون أنفسهم
فوق كل شريعة وقانون وهو ما يسمونه بالامتياز سواء كان حلولهم في
الارض حلول فتح واستعمار أو حلول ارتياد وتجارة
لم يقف المسلمون عند هذا الحد من المساواة والمعدل بل تخطوه
الى حد أبعد منه وهو معاملتهم للمخالف بماملة الا كفاء فيما يتعاق بالشرف
والفضل « التشريعات » وتقليد المناصب العالية ان كانوا أهلاً لها حتى
كان منهم من تولى قيادة الجيش في أسبانيا وكثير منهم ارتقى الى رئاسة
الدواوين القلمية وغيرها وحفظ أسرار الخلفاء والملوك « سكرتير » ولم

يكن ذلك خروفاً من مراقبة دولة أخرى تقتصر لهم ولا استمالة لهم
ولقومهم للاسلام . كيف وقد كان من عمال الامويين من يكره دخول
المخالفين في الاسلام . لئلا تنقص مبالغ الجزية

لو شئنا سرد الشواهد على حسن معاملة المسلمين لمن خالفهم في
الدين أيام تمسكهم بالدين وعملهم بأدابه واهتدائهم بهديده لاحتجنا الى
تأليف رسالة أو كتاب لكننا نزيد على ما أشرنا اليه شاهداً واحداً مما
كان أيام الدولة العباسية ونشير الى بعض الشواهد في عهد الدولة العثمانية
فنعول « ستأتي البقية »

اقتراح القيصر

اهتز العالم للمنشور الذي ابلغه قيصر روسيا بلسان ناظر خارجيته
لعامة دول اوربا بقتراح فيه عقد مؤتمر للبحث في وضع حد للاستعدادات
الحربية التي أثقلت كواهل الدول واستنزفت ثروة الامم واستأصلت منها
الخيرات والبركات والقوى المادية والادبية وما صرح به المنشور أن آلات
الهلاك والدمار الحديثة التي انفتحت عليها القناطر المقنطرة من الذهب
والفضة ربما تسمى بعد قليل من الزمن ألقاء^(١) لا ينتفع بها بمخترعات
جديدة يبطل فعلها وذلك مما يحتاج الثروة ، والخطر الناجم عنه يجعل السلم
المسلح وقراً ينوء بالامم ، فاذا طال الامد فلا بد ان يفضي الى الويل الذي
ترغب الدول في مجانبته ويروع العقل البشري توقعه

الاقتراح لا خلاف في شرفه ، ولم تذكره جريدة في أوربا الا واثنت

(١) الألقاء جمع لقاء بفتح اللام وهو الشيء الذي يصرح ويلقى لنحو الاستهانة به